الجـــزء السادس

السـلام
PEACE

obeikandl.com

عن صور السلام

ABOUT PEACE FORMS

أحد أكثر قصص القتال شهرة فى كل الثقافة الغربية هى قصة التوراة عن داوود الإسرائيلى وجوليات الفلسطينى. فى هذه القصة تمكن الضعيف داوود من أن يقتل خصمه العملاق بالاستعانة بسلاح ذى تقنية عالية - المقلاع.

اختراع آخر منقذ للحياة الاجتماعية بين قبائل بدائية محددة هو الإعفاء على سبيل المثال، النساء الزائدة، الأطفال أو المحايدون وحاملو رسائل الأعداء.. فكرة ثالثة الإعفاء ليس للناس ولكن لأماكن محددة (فى العهود الجديدة NEW HEBRIDES، نعلم أن القبائل المتحاربة جنبت «ممر السلام» لا يجوز انتهاكه). ورابعة جنبت أوقاتا معينة يوقف فيها القتال - انتهاء الوقت على سبيل المثال لإقامة الاحتفالات الدينية.

عندما برزت مدنية الموجة الأولى جلبت معها صورة سلام مميزة تتفق مع صورة - حربها - مجموعة جديدة من الأدوات لمنع الحرب أو تخفيف العنف. على سبيل المثال ثورة الموجة الأولى التى رفعت الحرب فوق مستوى الصدامات القبلية غيرت أيضا من مصير الأسرى. حتى ذلك الوقت كان السجناء الأحياء لا فائدة منهم بالنسبة للقبيلة المنتصرة وما أن جعلت الزراعة إمكانية تحقيق فائض فى الأطعمة وفى إمكان الأسرى مع هذا إنتاج طعام أكثر من المطلوب لتغذيتهم أصبح تحويلهم إلى رقيق أكثر فائدة من أكلهم أو قتلهم.

ونفس الشيء حدث عندما وصلت الثورة الصناعية: مدنية الموجة الثانية أيضا خلقت شكلا للحرب خاصا بها - وكذلك شكلا خاصا للسلام.

على سبيل المثال عندما برز التصنيع لأول مرة فى أوروبا الغربية تم التركيز الكبير على علاقات العقود. فالعقود أصبحت جزءا من الحياة العملية لكل فرد. وأصبحت النظم السياسية مماثلة فى شرعيتها لمصطلحات «العقد الاجتماعى» بين القادة والمقودين. كانت خطوة طبيعية لدول الموجة الثانية أن توقع عقودا بين بعضها البعض. وهكذا أصبحت المعاهدات والاتفاقيات عناصر حيوية فى شكل سلام الموجة الثانية. ووضع البعض حدودا أخلاقية بالنسبة لتصرفات الجنود. جاء فى تقرير إدارة بحوث السلام والصدام فى جامعة اوبسالا وبالسويد: «رغم أن الأفكار الإنسانية موجودة من آلاف السنين.. فإنه فقط فى القرنين السابع عشر والثامن عشر أصدرت الحكومات فى أوروبا مواد خاصة بالحرب تحدد قواعد معيارية لمعاملة المحاربين».

هذه القواعد CODES حددت الأساس لعدد من المعاهدات والأعراف والقرارات القضائية. فى عام ١٨٦٤ اتفقت الدول على اعتبار الأطباء فى أرض المعركة والممرضات محايدين، وأن يقوموا برعاية الجرحى والمرضى بغض النظر عن جنسياتهم، وفى عام ١٨٦٨ حرمت الدول طلقات متفجرة محددة.

وفى عام ١٨٩٩ فى أول مؤتمر سلام فى هاج HAGUE تمت مناقشة (ولكن لم يقبل) تعليق الأسلحة (MORATORIUM). ومع ذلك فرضت قيود على أسلحة وطرق الحرب، مثل استخدام المقذوفات من البالونات، وتم تشكيل محكمة تحكيم للخلافات بين الدول.

ومنذ ذلك الوقت قام العالم بعقد اتفاقيات ومواثيق واتفاقيات أخرى لمنع أو تحديد الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، وزيادة المعاملة الإنسانية لأسرى الحرب، ومنع المذابح وتحديد الأسلحة النووية. ولكن الختم الصناعى على «عمل - سلام» ذهب إلى أعمق (أبعد) من الاتفاقيات المعقودة.

إن المحدثين الذين بنوا مجتمعات الموجة الثانية خلقوا أسواقًا وطنية (قومية) وأدوا إلى ميلاد ما نعتقد الآن أنه أمة - دولة. لقد نمت الحرب من صدامات بين مدينة - دولة أو عائلات مالكة إلى عنف منظم بواسطة أوطان بكاملها لها حكومات تسيطر على اقتصاديات متكاملة بحجم الوطن.

لقد رشد المحدثون جمع الضريبة (إمداد الحكومات الوطنية بالمال لتمويل حروب أكبر) وربطوا سكانهم مع نظم النقل والاتصالات الوطنية وملأوا رءوس الناس بدعاية وطنية (قومية) قام بضخها معاونوهم والمثقفون والإعلام الوطنى.

كما خلقوا مؤسسات جديدة تماما للمحافظة على السلام. وبقيامهم بهذا، وهو أمر ليس غريبا، ركزوا جهودهم على الدول (الأمم).

إن عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى والأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية اختلفتا فى كثير من الأمور ولكن كليهما بنيت حول الأمم. فكلا من عصبة الأمم والأمم المتحدة اعترفت بالسيادة الوطنية، وعدم انتهاك الحدود الوطنية. وحق الأمم فى الاستقلال وأن يكون لها تمثيل كامل فى المنظمتين.

إن المعنى الدقيق «للأمن القومى» الذى بنيت على أساسه القوة العسكرية الواسعة فى نصف القرن الماضى يعكس تركيزًا على السلام والأمن على مستوى الأمم كشىء مميز عن السلام داخل الأمم أو السلام على مستوى الأديان والمجموعات العرقية أو الحضارات.

obeikandl.com

شكل السلام التالي

THE NEXT PEACE FORM

إن عمل السلام لا يمكن أن يعتمد على الحل المسبق لكل الأمراض الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية للعالم. وأولئك الذين يقولون لنا: إن الحرب هى نتاج الفقر والظلم والفساد وتعداد السكان الزائد، والبؤس قد يكونون على حق رغم أن المعادلة تبدو أكثر بساطة.

إن المشكلة ليست كيف يتم تشجيع السلام فى عالم نموذجى ولكن فى العالم الذى نعيشه حقيقة وعالم جديد نحن نخلقه. وفى عالم اليوم الحقيقى يوجد لدينا نظام عالمى جديد وطريقة جديدة جدا فى صنع الحرب، ومع ذلك هناك قليل من الابتكارات الجديدة فى الطريقة التى نصنع بها السلام.

فى عام ١٩٣١ استهل كاتب بريطانى أ. س. ف. بيليس كتابة «تاريخ السلام» بملاحظة «أن كل فكرة تدور الآن حول السلام والحرب سبق الدعوة لها فى المنظمات المختلفة منذ أكثر من قرن مضى» وكان يشير إلى الوقت الذى تشكلت فيه «مجتمعات السلام» فى إنجلترا عام ١٨١٥ لقد ظهروا إلى الوجود بدقة فى الفترة التى تم فيها فى الموجة الثانية تطوير وتوسيع شكل - الحرب بواسطة نابليون، وعلى مر السنين، بدورها، ساعدت على تطوير ما أصبح شكل - سلاح الموجة الثانية. ولكن معظم الافتراضات الأساسية التى بنى عليها شكل السلام لم يعد ممكنا الدفاع

عنها. على سبيل المثال فكرة الموجة الثانية إن الحكومات الوطنية (القومية) هى فقط تلك التى يمكنها السيطرة على قوة عسكرية أصبحت فكرة متقادمة. إننا نشاهد بكثرة وحدات عسكرية خرجت عن سلطة الحكومة المركزية. والبعض، كما فى روسيا، أصبحت كواقع تحت سيطرة مصالح رجال الأعمال المحليين. وآخرين، كما فى مناطق المخدرات، قد تبيع نفسها لمنظمات إجرامية، وآخرون يعملون مستقلين عن أية سلطة. والبعض، كما فى صرب البوسنة، فيما بين الحالتين. ومع انتشار الموجة الثالثة قد نشاهد أنواعًا مختلفة أكثر. ولكن إذا كانت الأمة - الدولة فى طريقها لأن تفقد احتكارها للعنف فبالضبط ما هى تهديدات السلام؟ ما هو نوع النظام العالمى الذى يمكنه أن يقيم عدم احتكار العنف؟.

إن جماعات السلام خلال فترة الموجة الثانية عارضت (بصورة نموذجية) تصدير الأسلحة. لكنه تحول الآن إلى أن أسلحة الموجتين الثانية والثالثة مختلفتان كثيرا. هل يجب أن توضع الأسلحة المصممة للذبح بدون تمييز وأن تشمل معا الأسلحة المصممة لتقليل الخسائر المصاحبة (COLLATERAL)؟ إذا أهمل هذا التمييز. هل نتغاضى عن طرق هامة لتقليل سفك الدماء فى السنوات المقبلة؟ إن معارضة الحرب فى حد ذاتها أمر مرضى أخلاقيا. ولكن فى عالم ينقسم بسرعة إلى حضارات موجة أولى وثانية وثالثة يحتاج الأمر إلى تجنب أو تحديد ثلاثة أشكال مختلفة للحرب مع تركيبات مختلفة. كل منها قد يحتاج مجموعة من الاستجابات من المحافظين على السلام أو صناع السلام.

ثم هناك الأمم المتحدة التى يعلق الملايين حول العالم آمالهم الجادة عليها من أجل السلام. إن تنوع الحروب يتطلب تنوع القوى المضادة للحرب وليس وحدة واحدة لكل الأغراض.

ولسوء الحظ أنه من السذاجة افتراض أن الأمم المتحدة بتنظيمها الحالى يمكنها إطفاء حرائق الحرب إذا كان لها دعم مالى مناسب. أو ذراع عسكرى مستديم فهناك كثير من الأمور لا يمكن للأمم المتحدة القيام بها، فهى غير قادرة حتى إذا ما توفرت لها الأموال والسلاح التى تريدها.

إن الأمم المتحدة قد تعمل مع وكالات خاصة لا تبحث عن المنفعة فى مناطق الكوارث، على سبيل المثال، أو أن توسع دورها الاستشارى لتنظيمات غير حكومية الأمر الذى يخفى الحقيقة الأكبر: هذه التنظيمات غير الحكومية أو الممثلون غير التابعين لدولة لازال ينظر إليهم من قبل الأمم المتحدة أنهم على أحسن تقدير مصدر إزعاج، ومصدر منافس للقوة فى أسوأ الحالات. ففى البوسنة (طبقا لمحطة راديو الجمهورية الوطنية) رفضت قوات الأمم المتحدة حماية قافلة معونة إنسانية نظمتها تنظيمات كاثوليكية ومسلمة للمعونات. إن الخوذات الزرقاء شرحت أن تفويضها لا يمتد إلى حماية جهود المنظمات الخاصة.

ومع ذلك فى عالم فيه قوى غير وطنية تمارس قوة متنامية لا يمكن أن يتحقق السلام بدونهم. وإذا كان على الأمم المتحدة أن تعمل بفعالية فى البوسنة أو كمبوديا فى المستقبل يجب عليها أن تقتسم القوة على أعلى مستوى مع هذه التنظيمات غير الحكومية. وعليهم المشاركة الكاملة فى تكوين استراتيجيات الأمم المتحدة للسلام.

دبلوماسية مرتعشة خوفا DIPLO - DITHER

إن افتراضات ومؤسسات الموجة الثانية ساعدت على شلل العالم عندما واجه العنف الحالى فى البلقان، بكل وحشياته، والاغتصاب الكثيف، والتطهير العرقى شبه النازى. تلك الحرب تستحق دراستها باختصار هنا

لأنها مثال محتمل لحروب أخرى قد تنشب. إن ما شاهده العالم فى البلقان كان، جزئيا، حرب موجة أولى تم إدارتها بجنود غير نظاميين ذوى تسليح سيء وتدريب سيء غير منضبطين تم تنظيمها على عجل. وكان بعضهم مدعمين بعناصر من عسكرية الموجة الثانية ليوغوسلافيا السابقة. كانت الأمم المتحدة على وشك أن تقاتل، وكان الأوروبيون والأمريكيون غير راغبين فى شن حرب موجة أولى ولا ثانية، ويجادلون أن البلقان كانت ببساطة مستنقع. ولم تتم أية محاولة لاستغلال شكل حرب الموجة الثالثة والتى، كما سنرى بعد قليل، قد تقلل المذابح، وبدلا من ذلك شاهدنا قصر نظر استراتيجيا، ونفاقا أخلاقيا، وجدلا عقيما بالنسبة لاستخدام القوة ودبلوماسية مرتعشة خوفا بلا حدود.

وبافتراض أن العالم الخارجى كان يود حقيقة إيقاف رعب تلك الحرب (وهو أمر محل تساؤل على الأقل) فإن المسألة لم تكن أبدًا ما إذا كانت القوة الجوية قادرة أو لا على المساعدة فى إيقاف القتال. كانت هناك، فى الواقع، أشياء كان من الممكن لو تمت أن تقلل من المأساة إلى أدنى حد دون المخاطرة بقوات برية أو طيارين.

اتحاد السلام PEACE, INCOR PORATION

إن الحكومات غير الراغبة فى إرسال شبابها وشاباتها ليموتوا فى قتال ضد الصربيين والكروات وغير النظاميين البوسنيين، قد يكون لديهم بعض التحفظات بالنسبة للسماح للأمم المتحدة مع قوة مقاتلة محترفة غير سياسية مكونة من متطوعين من دول كثيرة – وحدة انتشار سريع للإيجار. أو وحدة بعقد مع الأمم المتحدة فقط.

بالطبع لمنع مثل هذه الشركات من أن تصبح كروتا برية (شرسة) يجب وضع مجموعة من القواعد البرية الصارمة الدولية – مجلس مديرين عبر

الحدود الوطنية، ورقابة شعبية لأموالها، وربما ترتيبات خاصة لتأجير المعدات لأهداف محددة. بدلا من السماح لهم بأن يكونوا مخزونات ضخمة خاصة بهم. ولكن إذا لم تتمكن الحكومات من أن تقوم بالمهمة مباشرة قد يتحول العالم إلى اتحادات يمكنها ذلك.

قواعد خاصة للعقوبات الدولية قادرة على السماح لهذه الشركات بتنفيذ عمليات حفظ سلام غير تقليدية فى حدود أخلاقية - لتقوم بما يحتاجه الأمر ابتداء من رشوة مشروعة إلى الدعاية إلى تدخل عسكرى محدود، إلى إمداد قوات السلام فى المنطقة. وربما يوجد مستثمرو قطاع خاص لتأسيس هذه الشركات إذا وافق المجتمع الدولى أو المجموعات الإقليمية أن تدفع لهم رسوما للخدمات بالإضافة إلى أرباح طائلة فى السنوات التى تهبط فيها الخسائر. وإذا لم ينجح هذا ربما توجد طرق أخرى تغمر العالم بمؤسسات تخدم السلام بحماس كبير. لماذا لا نجعل السلام ينجح؟ تبدو هذه الأفكار مضحكة (حمقاء)، وربما هى كذلك. ولكن سيئة كانت أم جيدة، فهى تكمن خارج إطار الموجة الثانية التقليدية فقد نجد بدائل خيالية عن الشلل.

سماوات مفتوحة وعقول متفتحة

OPEN SKIES AND OPEN MINDS

أحيانا يمكن تدعيم السلام بإجراءات اقتصادية أو بفرض القوة. ولكن ليست هذه هى الأدوات الوحيدة لذلك. فالسلام فى مطلع القرن الواحد والعشرين يتطلب عملا جراحيا لا يقل واقعية ولكن سلاح أكثر قوة: المعرفة.

حقا إن أى تفكير فى السلام يهمل المورد الاقتصادى الرئيسى لحضارة الموجة الثالثة - الذى يعتبر أيضا مفتاح قوتها العسكرية - هو بالقطع غير

مناسب. إذا كان من الممكن الآن كسب حرب بالمعلومات المتفوقة هل يمكن كسب ضد الحرب بنفس الطريقة أيضا؟ إن ما يغيب بوضوح الآن، هى استراتيجيات معرفة متماسكة للسلام.

إن العناصر البدائية (غير المتطورة) لمثل هذه الاستراتيجية كانت موجودة لفترة طويلة من الزمن، رغم عدم رؤيتها بالنسبة لبعضها البعض. وتعطى لكل الأطراف إنذارا رحبا للتطورات المهددة) تكمن خلف «السموات المفتوحة وهو الاقتراح الذى قدمه لأول مرة الرئيس دوايت ايزنهاور إلى رئيس الوزراء السوفيتى خروشوف فى مؤتمر القمة الذى عقد فى ٢١ يوليو ١٩٥٥ كخطة محو تقليل توترات نووية وخطر هجوم مفاجئ اقترح أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى: «تعطى كل منهما مخفطا (طبعة) عن منشآتها العسكرية من أولها إلى آخرها ومن أول بلادها إلى آخرها، وعلى كل دولة أن تعطى للأخرى التسهيلات الأخرى عن الاستطلاع الجوى «حيث يمكن للجميع أن يتصوروا الخيار التى ستختاره وخذهم إلى بلدك للدراسة».

ورفض السوفييت بسرعة هذه الفكرة. ومع ذلك - نشاهد نمو قبول بواسطة كثير من الدول للاستطلاع والرصد المتبادل وجمع البيانات، بما فى ذلك الحق فى تأكيد الالتزام باتفاقيات الحد من التسلح. على سبيل المثال فى عام ١٩٧١ سمحت اتفاقية سيبيد (SEABED) لأى من الأمم المتحدة أو لدولة ما أن تطالب بالتحقق. وفى عام ١٩٨٦ وافقت خمس وثلاثون دولة فى مؤتمر نزع سلاح فى استوكهولم على فتح بلادها لتفتيشات فى الموقع بعد إشعار قصير دون الحق فى الرفض.

فى عام ١٩٨٩ أعاد الرئيس بوش الحياة لاقتراح أيزنهاور. وبواسطة الأقمار الصناعية المتقدمة الآن والمستشعرات الموجودة فى الفضاء يمكن

تحقيق الاستطلاع الجوى. ومع ذلك فإن الغرب عرض فكرة كاسحة عن «السماوات المفتوحة» إلى جانب التفتيش في الموقع على المنشآت العسكرية لتغطية ليس الولايات المتحدة فحسب بل كندا وأوروبا أيضا. والروس الآن على استعداد للتفاوض ووافقوا على السماح باستخدام رادار SYNTHETIC APERTURE يمكنه الرؤية خلال أى جو ويعمل ليلا كذلك ولكنهم أرادوا تحديد التفاصيل التى يمكن للمستشعرات المتمركزة فى الفضاء أن تحددها. وبينما الغرب أراد أن يكون قادرا على تحديد عناصر بحجم عشرة أقدام فأكبر. أراد الروس أن يكون الحد أربعين قدما.

وبدلا من الندب (الحزن) على تكلفة تكنولوجيات الاستطلاع المتمركزة فى الفضاء والبحر والمستشعرات الموجودة على الأرض نحتاج إلى أن نراها كنفقات اجتماعية حيوية للمحافظة على السلام. إن ما نحتاج إليه هو اتفاقيات للمشاركة الواسعة فى المعلومات التى توفرها وتكاليفها. وحيث تكون الأسواق التجارية القابلة للنمو غير كافية لدفع تطويرها، وصور خيالية عبر الحدود الدولية، وربما مزيج من العام والخاص يمكن خلقه لدفع عجلة التطور.

إن تبادل البيانات والمعلومات والمعرفة فى عالم تتنامى فيه سباقات التسلح هى أداة موجة ثالثة للسلام.

تتبع التكنولوجيا TRACKING TECHNOLOGY

لا يؤدى كل سباق تسلح إلى حرب - كما كان أكبر سباق فى التاريخ بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى - الذى أثبت ذلك. إن النوايا وليست القدرات البحتة هى التى تعنينا. ولكن مبيعات السلاح المنفلتة وبناء القوة الشاذة، والصب المفاجئ للتسليح فى منطقة توتر شديد،

والتحولات المفاجئة فى موازين القوى - كلها تزيد مخاطر عنف غير مسبوق. وفى ضوء هذا اقترحت الأمم المتحدة خلق «سجل أسلحة ARMS REGISTER» يقوم رسميا بتتبع صادرات الأسلحة وارداتها بواسطة الحكومات المشتركة. واقترح بعض الأمريكيين المدافعين عن الحد من التسلح أن تقطع الأمم المتحدة المعونة عن الدول التى ترفض الإبلاغ عن انتقالات الأسلحة.

ومعلومات أكثر لا أقل مطلوبة أيضا عن انتشار آخر لأسلحة التدمير الشامل، خاصة مع التحول من استخدام تقنيات الغرض الواحد إلى تقنيات متعددة الأغراض، إنها ليست مجرد أسلحة يحتاج الأمر لتعقبها ولكنها انتشار التقنيات - بما فى ذلك القديم منها.

فى محاولة تحديد ما إذا كانت العراق تقوم ببناء أسلحة نووية من عدمه خدعت وكالة الطاقة النووية وخبراء المخابرات النووية أيضا بافتراض غبى ومحرج. لقد استبعدوا بيانات بأن العراق قد تستخدم تكنولوجيا الكالوترون (CALUTRON) لفصل اليورنايوم ٢٣٥ من اليورانيوم ٢٣٨، طالما أن طرقا أكثر كفاءة لصناعة المواد اللازمة للسلاح متوفرة حاليا. ولكن صدام سار إلى هدفه فى عدة طرق، واحد منها كان استخدام التكنولوجيا التى اعتبرت فى العالم أنها تكنولوجيا عفا عليها الزمن (متقادمة OBSOLETE) إن أكثر تعبير لاذع جاء من ج كارسون مارك رسمى سابق فى معمل لوس الموس حيث تم بناء أول قنبلة ذرية، لماذا ننفق كل هذه الأموال على المخابرات إذا كان فى الواقع أنها لا تعرف شيئا؟ إن الخبرة العراقية أثبتت أن أحسن مصدر للمعلومات عن انتشار الأسلحة يأتى غالبا من الداخل. لقد كان أحد المنشقين العراقيين هو الذى أبلغ الغرب عن استخدام صدام للكالوترون (CALUTRONS).

إذا كانت المعلومات تكمن بتزايد فى قلب العمل المضاد للحرب لماذا لا نعترف بقيمتها الضخمة؟ ولماذا لا تعلن مؤسسة كارينجى للسلام الدولى أو بعض المؤسسات الأخرى أو الأمم المتحدة أو وكالة الطاقة النووية الدولية ذاتها – تعلن للعالم أجمع أنها ستعطى مكافأة مليون دولار لأى فرد يقوم بتقديم دليل موثوق فيه عن تهريب مواد نووية أو انتشار للأسلحة. إن المكافأة قد تثبت أنها ذات فاعلية أكثر من بعض وسائل المراقبة المفروض فيها حماية العالم من الرعب النووى. إذا لم تكن وكالة الطاقة النووية تشترى فعلا هذه المعلومات لماذا لا تفعل ذلك؟ على سبيل المثال قد يكون من أكثر الأمور أهمية معرفة ما هى البرامج المحتمل وجودها لدى عدو أكثر من المعدات التى يمتلكها؟ ماذا تفعل إذن إزاء ذلك؟ إن على المضادين للمقاتلين أن يبدأوا فى التفكير فى المنطق واللغات والمخابرات الصناعية بل نظريات معرفة بديلة لتطبيقها على السلام.

إن صفقات الأسلحة فى المستقبل ستكون مصحوبة باهتمام جديد – وستجبرنا على إعادة التفكير فى سلوكيات تخزين أخرى أيضا. على سبيل المثال من فى المستقبل سيثق فى أسلحة ذكية يشتريها من آخرين؟

قد يأتى اليوم، إن لم يكن قد جاء فعلا، عندما تباع فيه الأسلحة بها عناصر ذكية بقدر كاف لتحديد (لمنع) استخدامها تحت ظروف مسبقة التحديد، أو لنفس الموضوع يمكن لأولئك ذوى الاقتصاديات المتقدمة – على سبيل المثال – أن تخفى فيها شرائح رقيقة CHIPS تدمير ذاتى فى الطائرة المصدرة أو قواذف الصواريخ أو الدبابات أو الصواريخ – حتى إذا ما تحول الزبون إلى عدو أو يعيد بيعها لعدو يتم استغلال هذه الرقائق (أو الأجهزة). والتعليمات المخفاة يمكنها قذف الطيار EJECT من مقاتلته أو جعل الطائرة تنفجر. إن تقنيات المستقبل المتمركزة فى قمر صناعى فى موقع كونى

للبيانات يمكنه سرية برمجة نظم أسلحة لعدم الإصابة أو جعل نظام ملاحى يخطئ بمجرد أن يطير خارج حدود جغرافية محددة من قبل بواسطة البائع.

إذا كان ذلك حقيقيا فإنه مثال لمعرفة متطورة للغاية فى شئون الحرب. فى مقدور صناع الأسلحة أن يقوموا بجراحات دقيقة للصادرات بحيث يمكن لبعض خاطفى الحاسبات HACKERS OR CRACKERS بافتراض أن ذلك لصالح السلام – الوصول إلى عملية تصنيع وإعادة برمجة نظم بعينها حتى لا تعمل كلية فى القتال؟.

جرائم قتل الغد غير المحلولة

TOMORROW'S UNSOLVED MURDERS

يوجد أيضا، مشكلة «هجرة العقول BRAIN – DRAIN» التى يحتمل أن تنمو (تتزايد). فى القطاع الخاص يوجد قانون جديد يقفز للوجود يتصل بملكية الثقافة. تقوم شركة جنرال موتورز بمقاضاة موظف تنفيذى سابق لأخذه أربعة عشر صندوقا (بطريقة غير قانونية) من ديسكات الحاسبات معه إلى شركة فولكس واجون. وتقوم شركة آى بى ام IBM بمقاضاة موظف سابق لمنعه من العمل لدى سيجيت SEAGATE وهى شركة تقوم بصناعة أقراص إدارة DISC DRIVES وكل هذه محاولات لتنظيم تيار قوة العقل بين الشركات لأسباب تجارية بحتة.

وعلى مستوى أبعد خطورة بكثير نشاهد فعلا حكومات غربية ترصد اعتمادات مالية للمحافظة على متخصصين محددين فى روسيا حتى لا يهاجروا إلى دول عدوانية يحملون معهم ما هو داخل جماجمهم – على سبيل المثال معرفة نووية.

يوجد أمر آخر أكثر تطرفا من السيطرة على المعرفة. فى عام ١٩٨٠ وجد يحيى المشد ميتا فى حجرة بفندق ميريديان بباريس. وفى مارس ١٩٩٠ وجد رجل آخر يدعى جيرالد بّل مقتولا بطلق نارى فى بروكسل. وبقيت الجريمتان دون حل حتى اليوم.

ويدور مع ذلك أن المشد المصرى كان شخصية أساسية فى سعى صدام حسين لعمل قنبلة نووية وبّل الكندى المولد كان يحاول عمل مدفع عملاق لصدام، وكما أن المعرفة تصبح أكثر قيمة اقتصاديا وعسكريا فمن المحتمل أن جرائم قتل أخرى ستظهر فى أنحاء العالم.

فى عالم فوضوى يمكن للمرء تصور دور أو حتى تنظيمات قطاع خاص تحدد جائزة لكل رأس من تخصصات فنية محددة يقوم بتقديم خبرته لبناء أسلحة ممنوعة. مثل هذه الاغتيالات قد يتم إجازتها بواسطة سلطات إقليمية أو عالمية يوما ما على أنها فى صالح السلام - رغم أن الأكثر احتمالا أنه سيكون تصريحا غير رسمى.

التجارة فى الأسلحة TRADE – IN WEAPONS

إن صور الحرب والسلام فى الغد ستفرض أسئلة أخلاقية مؤلمة وقرارات صعبة على سبيل المثال بعيدا عن محاولة منع أنواع محددة من المعرفة عن صناع المشاكل المحتملين. قد يكون من المنطق (العقل) لمعظم الأمم المتقدمة تكنولوجيا أن تقوم عمليا بإمداد الدول الأقل صداقة بخبرات فنية TECHNICAL KNOW – HOW.

إذا نجحت بعض «دول منبوذة» فى تطوير أسلحة تدمير شامل فإن باقى العالم سيواجه قرارا حاسما (حيويا). ومع ذلك إذا فرضنا حصولها على هذا السلاح هل نريد من الحكومة التى وصل إليها السلاح، التى قد

تكون حكومة وحشية، أن تبقى السلاح تحت سيطرة دقيقة (حريصة) حتى لا تسقط فى أيدى غير مسئولة؟ وإذا كان الأمر كذلك هل يجب علينا عمليا صناعة تكنولوجيات سيطرة متطورة مثل «وصلات العمل المسموح به» PERMISSIVE ACTION LINKS لتوضع بها؟ أو هل الأفضل أن نحافظ على بقاء الحكومة السيئة جاهلة تكنولوجيا ومرة أخرى نجد أن السيطرة على المعرفة تقع فى قلب عملية المحافظة على السلام.

علاوة على ذلك ربما أن أسلحة الموجة الثالثة المركزة المعرفة أكثر دقة، ونظريا، يمكنها قتل وجرح عدد أقل من الجنود والمدنيين عن أسلحة الموجة الثانية التى لا تمييز لها فى التدمير، هل العالم سيكون أحسن حالا إذا قامت دول ذات تقنية عالية ببيع أسلحة موجة ثالثة لجيوش أقل تقدما عسكريا - مع أخذ أسلحتهم للموجة الثانية بدلا منها ثم تدميرها تحت إشراف دولى؟ ماذا عن استبدال هذه الأسلحة بأسلحة غير قاتلة؟ مثل هذه الأفكار هى تلميح بمسائل غريبة ستواجه الجيوش ودعاة السلام معا فى الغد.

عندما نتحدث عن استراتيجية معرفة من أجل السلام ما هو الدور الذى يلعبه التدريب؟ وماذا عن تطبيق محاكاة بالحاسبات المتطورة للتدريب على الوساطة ونجدة الكوارث، وطوارئ الجوع، وتحليل صدامات الثقافة المتضاربة؟

وفوق كل شىء ماذا عن أنواع الوساطة والتحليل وجمع البيانات التى ستساعد فى تحويل كل التركيز على العمل المضاد للحرب من الحاضر إلى المستقبل - تفكير مشارك بدلا من جهود محطمة بعد أول دم يراق.

وفى النهاية، وهذا يعود بنا إلى البلقان، لا يمكن لاستراتيجية معرفة للسلام أن تهمل أحد أهم مصادر المعلومات - المعلومات المضللة والمعلومات الكاذبة والإعلام.

كيف تبدأ (ولا توقف) حرب

HOW TO START(AND NOT STOP) WAR

قدمت حكومات أوروبية وأمريكية قوائم طويلة توضح أسباب عدم المخاطرة بقوات برية ولا بطيارين للدفاع عن الناس الذين يقاسون من البلقانيين والكرواتيين والبوسنيين والصرب. لم تفسر أى حكومة سبب فشلها فى اتخاذ إجراءات سليمة بالكامل غير مكلفة لإخماد أو على الأقل تحديد الحرب.

بينما فقد السادة الشيوعيون فى أجزاء مختلفة من يوغوسلافيا مكانتهم فى عصر ما بعد الحرب الباردة حاولوا التمسك بالسلطة بالتحول من أيديولوجية ماركسية إلى قبلية دينية. وقام المثقفون المعتوهون تجذبهم الرغبة فى السلطة بتقديم نظريات لهم تسيطر عليها العرقية والدين وكثير من الذخيرة فائقة التأثير الرنانة، لقد قدم الإعلام المدفعية، فى كلمات ميلوس فاسيك محرر بمجلة فريمى VREME وهى الوحيدة المستقلة فى بلجراد، إن انفجار العنف كان «حربا صناعية حقيقة نتجت من التليفزيون. كل ما استغرقته عدة سنوات من الدعاية المبهجة العنيفة، غير المبالية المتسمة بالميول العدوانية، المتشددة، التوسعية، لخلق الكراهية الكافية لبدء القتال».

لنفهم ما حدث قال للأمريكيين خلال زيارة فى وقت الحرب، «تصور الولايات المتحدة وكل محطة تليفزيون صغيرة تأخذ نفس خط التحرير - خطة أملاها دافيد ديوك. أنتم أيضا قد تواجهون حربا خلال خمس سنوات». الصحفى الألبانى فيوليتا أوروزى يوافق قائلا: «إن تحلل يوغوسلافيا كحرب إعلام».

لقد كانت هناك مسيرات سلام فى بلجراد. حتى فى بانجالوكا (معقل بوسنى للصرب قوى) فى وسط القتال، ومجموعة من البوسنيين، والصرب، والكروات الذين كونوا من أنفسهم تنظيما أطلق عليه المنتدى المدنى «للقتال ضد الكراهية العرقية والدينية».

ومع ذلك لم تقدم أى من القوى الغربية - الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وإنجلترا - تاركين باقى العالم بعيدا - معونة اقتصادية أو سياسية للخصوم الداخليين لحرب أدانت دمويتها نفس الحكومات يوميا. كما أنهم أو الولايات المتحدة لم تضع تقريبا أى استراتيجية إعلامية لمواجهة دعاية الكراهية للتخفيف من حدة العنف.

كانت سفن البحرية متمركزة بالقرب من الشاطئ لمراقبة حظر الأسلحة. ولكن بواسطة أجهزة الإرسال الموجودة فوق السفن أو من الأراضى القريبة لإيطاليا أو اليونان، كان فى مقدور الأمم المتحدة بسهولة أن توفر صوتا إعلاميا للمعتدلين الصامتين فى كل منطقة، وحقن تيار من سلامة العقل إلى تلك الجمهوريات اليوغوسلافية السابقة. وإلى جانب الحظر على الأسلحة ماذا يضر لو تم حظر دعاية الكراهية؟

إذا كان فى مقدور خبراء الحرب النفسية للولايات المتحدة إسقاط ٢٩ مليون منشور فوق العراقيين ألم يكن فى الإمكان إسقاط بضعة آلاف قليلة من الراديوهات الرخيصة المضبوطة على «تردد سلام» فوق منطقة الحرب حتى يستمع المحاربون إلى شىء عن كذب الجانب الذى ينتمون إليه؟

فى الولايات المتحدة قام جريس أرون (مساعد أستاذ شئون السلام فى لوس انجيليس) باستجداء وكالة معلومات الولايات المتحدة أن تبدأ إذاعة قريبة من الشاطئ OFFSHORE تذيع الأخبار لمساعدة المواطنين لكل

جمهوريات يوغوسلافيا سابقا أن تستمع إلى تقارير إخبارية متزنة دقيقة عن الحرب، وليس فى منطقة الحرب فقط وإنما فى بلجراد وزغرب أيضا.

وآخرون جادلوا فى أن يقوم راديو أوروبا الحرة أو راديو الحرية بهذه المهمة. وأين كانت الـ بى بى سى BBC والـ سى ان ان CNN أو من اليابان المحبة للسلام حيث كانت NHK؟ إن ترجمة بسيطة لهذه الإذاعات المنتظمة كان فى مقدورها تدعيم أولئك الذين أرادوا إنهاء القتال.

استغرق الأمر عامين بعد نشوب الحرب كى تعلن الولايات المتحدة أنها ستطلق إذاعة راديو الصرب الحر - ولكن على موجة قصيرة فقط بحجة أن الموجة المتوسطة تحتاج محطة إرسال أكبر بالقرب من منطقة الهدف. وفى عام ١٩٩٣ كان من غير الممكن الوصول إلى زغرب أو بلجراد - مثلا - من إيطاليا أو من المحيط المجاور. فى ذلك الوقت كان هناك ٥٠٠٠٠٠ طبق للأقمار الصناعية فى الصرب ومونتينجرو، وعدد ٤٠٠٠٠ أخرى فى كرواتيا ولكن لم تقم أية وكالة عالمية باستغلالها. فى عصر النظم الرقمية حيث ننطلق بسرعة تجاه وسائل الإعلام المتعددة المتبادلة الكونية، وسباق متكتل لإعلام عملاق يقرع أبواب مستقبل الاتصالات ودعاية سلام لازالت فى عصر راديو الموجة القصيرة.

من الواضح أن ما يحتاج إليه الأمر ليس بواسطة الولايات المتحدة ولكن بواسطة الأمم المتحدة ذاتها إذا كانت الأمم المتحدة تريد أن تستمر فى لعب دور حفظ السلام - إن ما يحتاج إليه الأمر هو قوة إذاعية للطوارئ يمكنها أن تذهب إلى كل مكان وتقوم بخلق إشعاعات إرسال إلى أولئك المنعزلين عن الإذاعات - ليس مجرد على الراديو فقط وإنما على التليفزيون أيضا.

طبقا لما قاله آرون الذى أنشأ خمسة برامج كابلات تليفزيونية عن الحرب والسلام تذاع فى الولايات المتحدة: إن مجموعات البلقان متطورون

بصورة لا تصدق بالنسبة للدعاية. لقد تم إعطاؤها شرائط فيديو للدعاية من كل الأطراف الثلاثة المشتركين فى الحرب بعضها تمت معالجته بطريقة ما. والبعض التقط من التليفزيون الصربى بواسطة قمر صناعى فى الولايات المتحدة وسجل لتوزيعه بواسطة حركات صربية أمريكية.

رغم الاضطهاد من المتطرفين والحكومات فى كل من المناطق المتحاربة فإن الصحفيين ومعلقى التليفزيون وأطقم الكاميرات وغيرهم قالوا ما شاهدوه.

إن النقطة التى نثيرها أوسع من البلقان. إننا فى طريقنا لرؤية وباء صدامات إقليمية. إنها ستفلس الدول ذات التقنية العالية إذا حاولت أن تضع كل ذلك مع القوة العسكرية. لماذا لا تستخدم الأسلحة الذكية من أجل السلام؟

إن أسلحة المعرفة وحدها، بما فى ذلك استخدام الإعلام، قد لا تكون كافية لمنع حرب أو تحديد انتشارها. ولكن الفشل فى تطوير استراتيجيات منظمة لاستخدامها أمر لا يغتفر، الشفافية TRANSPARENCY والاستطلاع، وأسلحة المراقبة، واستخدام تكنولوجيا المعلومات، والمخابرات، واعتراض خدمات المواصلات، والدعاية، والتحول من القتل المكثف إلى أسلحة أقل قتلا أو غير قاتلة، والتدريب والتعليم – كل هذه عناصر صورة السلام للمستقبل.

حقا يوجد مستوى أعمق يعتمد فيه السلام وصناع السلام على المعرفة. وفى ورقة أعدها الدكتور الين ويتنى – سميث (مدير نظم المعلومات الميكرو) لأحد المؤتمرات جادلت وقال: (تماما كما فعلنا فى عملنا لسنوات) إن اتصالا واسعا بالمعلومات والاتصالات هو شرط مسبق للتطور الاقتصادى. وطالما أن الفقر ليس صديقا للسلام فإنها اقترحت استخدام عسكريتنا وقوة

الثورة الرقمية للحصول على أكبر قدر من المعلومات وتكنولوجيا المعلومات من باقى العالم حتى نمكن الناس فى الدول النامية أن يصبحوا جزءا من المجتمع العالمى.

وتابعت تقول: «من أجل مصالح الأمن القومى نحتاج إلى استخدام هذه المعرفة لخلق الرخاء لباقى العالم قبل أن يصبح سكانه مهاجرين أو لاجئين أو يعيشون على حساب الغرب.

إن كلماتها لا شك تبدو يوتوبية (مثالية) لبعض الآذان. ولكن الأمر يتطلب كل أفكار الموجة الثالثة التى يمكن الحصول عليها إلى جانب جهود المنادين بالسلام والجنود أيضا، حتى يمكننا معايشة التقلبات القادمة فى نظام عالمى ثلاثى.

لتصميم شكل للحرب فى المستقبل نحتاج خريطة ابتدائية للنظام العالمى للقرن الواحد والعشرين. هذه الخريطة سنحاول تتبعها فى الصفحات المتبقية من هذا الكتاب.

النظام العالمى للقرن الواحد والعشـــرين

THE TWENTY-FIRST CENTURY GLOBAL SYSTEM

لم تتـأثر كلمـات بصـورة عشـوائية فـى أيامنـا هـذه مثـل كلمـة (عـالمى GLOBAL) يقال إن البيئة هــى مشـكلة عالميـة (كونيـة). تعـلن الشـركات بتفـاخر أنـها عالميـة. ويتحـدث الاقتصـاديون عـن النمـو العـالمى والكسـاد العالمى. والسياسيون والرسميون للأمم المتحدة أو عالم الإعلام غير موجودين وليسوا مستعدين لإلقاء المحاضرات عن النظام العالمى.

بالطبع يوجد نظام عالمى ولكنه ليس ما يتخيله معظم الناس.

إن جهودا لمنع تحديد أو إنهاء حروب سواء بواسطة جيوش أو بواسـطة حركات سلام أو بواسطة أى شخص آخر تتطلب فهم النظام الذى تحـدث فى داخله الحرب. ولهذا فإن التفكير الاستراتيجى للقرن الواحد والعشـرين يجب أن يبدأ بخريطة للنظام العالمى للغد.

إلقاء اللوم على نهاية الحرب الباردة

BLAMING THE END OF THE COLD WAR

معظم المحاولات لرسم خريطة النظام تبدأ بنهاية الحرب الباردة كأنــها كانت القوة الرئيسية لتغييرها. إن نهاية الحرب البــاردة لا زال لهـا تأثـير على النظام العـالمى. ولكـن فرضيـة (أطروحـة) هـذا الكتـاب أن التغيـيرات النامية من تفتت الاتحاد السوفيتى هى تغييرات ثانوية، وفـى الحقيقـة أن

النظام العالمى سيكون أسيرا بالتقلبات الثورية اليوم حتى إذا لم يكن حائط برلين قد سقط ولا زال الاتحاد السوفيتى موجودا. إن وضع اللوم فى كل شىء على أكتاف التقلبات UPHEAVALS بنهاية الحرب الباردة هو بديل للفكر.

نمو الدولة ذات الحد اللين

THE RISE OF THE SOFT – EDGE STATE

لنبدأ بالمكونات طوال القرون الثلاثة الماضية كانت الوحدة الأساسية للنظام الدولى هى الأمة – الدولة. ولكن هذا البناء للنظام العالمى يتغير.

إن الحقيقة المذهلة هى أنه من بين كل الأعضاء الحاليين للأمم المتحدة حوالى الثلث مهددون الآن بحركات ثورية ملموسة، أو معارضون منشقون أو حكومات فى المنفى. من ميانمار MYANMAR بكل مسلميها الهاربين وثوارها (KAREN) المسلحين على طول الطريق حتى مالى حيث قبيلة الطوارق تطالب بالاستقلال، ومن أذربيجان إلى زائير، دول قائمة تواجه قبيلة – حتى رغم أن الشعارات تشير إلى القومية.

فى بيانه أمام لجنة الشئون الخارجية لمجلس الشيوخ الأمريكى قبل أن يعين وزيرًا للخارجية حذر وزير الخارجية وارين كريستوفر (ولم يكن يريد بث الذعر فى أحد) حذر أنه: (إذا لم نجد طريقة ما تعيش بها المجموعات العرقية معا فى دولة.. سيصبح لدينا ٥٠٠٠ دولة بدلا مما لدينا الآن وهو أكثر من مائة).

فى سنغافورة تحدثنا مع جورج ياو، نائب رئيس الوزراء خريج كمبريدج وهارفارد. وهو عميد سنه واحد وثلاثون عاما له عقلية مثل أشعة

الليزر. يتصور ياو أن مستقبل الصين سيتكون من مئات الدول مثل مدينة سنغافورة.

كثير من الدول اليوم ستنقسم أو تتحول والوحدات الناتجة قد لا تكون أمما مندمجة بالمرة، بالمعنى الحديث، ولكن خليط من كينونات (كيانات) أخرى من إتحادات قبلية فيدرالية إلى دول - مدن للموجة الثالثة. وقد تجد الأمم المتحدة نفسها، إلى حد ما، ناديا لأمم سابقة أو زلة أمم (FAUX NATIONS) - أنواع أخرى من وحدات سياسية ترتدى مجرد أزياء فى الأمم الواقعة فى الشراك. ولكن ليس هذا هو التغيير الوحيد الذى يبدو فى الأفق. ففى العالم ذى التقنية العالية تنزلق قاعدة اقتصاد الأمة من أسفلها. وهناك، كما لاحظنا سابقا، تصبح أسواق قومية (وطنية) أقل أهمية من الأسواق المحلية وأسواق المناطق والأسواق العالمية. وعلى جانب الإنتاج يصبح من المستحيل تقريبا القول من أية دولة بعينها تأتى السيارة والحاسب، طالما كانت أجزاؤها وبرامجها تأتى من مصادر مختلفة. إن أكثر القطاعات ديناميكية للاقتصاد الجديد ليست قومية: إنها قد تكون دون SUB أو فوق SUPRA أو عبر TRANS قومية، والأكثر من ذلك بينما مجموعات الفقراء والضعفاء والشاحبون (WANNABLE) تطالب (بالسيادة) التى تفقدها أكثر الدول قوة وتقدما اقتصاديا أكثر من الجميع. حتى معظم الحكومات القومية وبنوكها المركزية لا يمكنها بعد الآن السيطرة على معدلات عملائها فى عالم متلاطم الأمواج فى موجات وأمواج غير منتظمة من النقود الإلكترونية. ولا يمكنهم السيطرة على حدودهم كما كانوا فى الماضى. وحتى عندما يحاولون قفل الباب بالنسبة للواردات أو المهاجرين - وكلاهما مر - فإن الدول عالية التقنية تجد نفسها مخترقة بتزايد من تيارات المال الأجنبية والإرهابيين والأسلحة والمخدرات والدين والموسيقى الصاخبة، والأيديولوجية والمعلومات وغير ذلك الكثير.

الأرخبيل العالى التقنية

THE HIGH – ARCHIPEL AGO

سرعان ما يتم إدخال أعمدة تكنولوجية ضمن أحدث صف ثالث من النظم. فى كلمات ريكاردو بيتريلا (مدير التنبؤ العلمى والتكنولوجى للمجتمع الأوروبى)، شركات أعمال عبر الحدود تقوم بخلق.. شبكات عمل تقوم بتجنب إطار الدولة – الأمة..

(بحلول منتصف القرن التالى دول – أمم مثل ألمانيا وإيطاليا والولايات المتحدة أو اليابان سوف لا تصبح كيانات اجتماعية اقتصادية يعول عليها وبدلا من ذلك مناطق مثل حى أورانج أو كاليفورنيا أو أوساكا أو اليابان أو منطقة ليون فى فرنسا أو رورجبيت فى ألمانيا ستكتسب منزلة اقتصاد مجتمع مهيمن.. إن القوى الحقيقية لصناعة القرار للمستقبل.. ستكون شركات عبر الحدود فى تحالف مع حكومة مدينة – منطقة).

ويقول: (هذه الوحدات قد تشكل أرخبيلا عالى التقنية.. وسط بحر من الإنسانية الفقيرة).

هذه الوحدات الإقليمية تأخذ على عاتقها قابلية للنمو الاقتصادى فى الأماكن التى تكون فيها الموجة الثالثة أكثر تقدما. وهى أقل قابلية للنمو الاقتصادى فى الموجة الثانية التى لا زالت تعتمد على التصنيع المكثف لصالح سوقها القومى. إنها تعكس الطبيعة الأكثر لا مركزية لمجتمعات الموجة الأولى – والتى تعتمد الآن على قاعدة عالية تكنولوجيا.

الأحبار والرهبان والملات CEOS, MONKS, AND MULLAS

منافسان آخران واضحان على القوة فى النظام الدولى هما الشركات الكبرى عبر الحدود والأديان، فكلاهما تتزايد فى الامتداد والمدى.

فمؤسسات مثل UNILEVER لها ٥٠٠ شركة فرعية تعمل فى ٧٥ دولة، اكسون ٧٥٪ من دخولها تأتى من خارج الولايات المتحدة، أو لنفس الوضع أى بى أم IBM وسيمنس وبريتيش بتروليوم لا يمكن اعتبارها بعد الآن شركات قومية (وطنية).

AT & T وهى واحدة من أكبر شركات الاتصالات عن بعد TELECOM تقدر أن ٢٠٠٠ – ٣٠٠٠ شركة عملاقة تحتاج إلى خدماتها العالمية، وتصف الأمم المتحدة ٣٥٠٠٠ شركة على أنها شركات عبر الحدود. وتشمل هذه الشركات فى داخلها ١٥٠٠٠٠ شركة تنتسب إليها.

لقد أصبحت شبكة الأعمال هذه مكثفة لدرجة أن حوالى ربع تجارة العالم تتكون الآن من مبيعات بين أفرع لنفس الشركة. هذا العضو الجماعى النامى لم يعد مربوطا بحبل إلى الأمة – الدولة ويمثل عنصرا حاسما فى النظام العالمى للغد. وبالمثل النفوذ النامى للأديان العالمية من الإسلام إلى الأرثوذكسية الروسية إلى الطوائف الجديدة المتزايدة بسرعة تحتاج صعوبة لتوثيقها. وكلها ستكون لاعبين حيويين فى النظام العالمى للقرن الواحد والعشرين.

من لاعبى الجولف إلى عمال المعادن

FROM GOLFERS TO METAL WORKERS

آلاف الجميعات عبر الحدود والتنظيمات تنمو الآن كعش الغراب بعد المطر، فالأطباء ، وصناع السيراميك، والعلماء النوويون، ولاعبو الجولف، والفنانون، وعمال المعادن فى اتحاداتهم، والكتاب والمجموعات الصناعية فى مجالات مختلفة مثل البلاستيك وصناعة البنوك. ومجموعات الضغط الصحية، واتحادات التجارة، ومجموعات المحافظة على البيئة – كلها الآن لها مصالح أكبر من المصالح الوطنية لها وتنظيماتها الخاصة العالمية

ولها أجنداتها. هذه التنظيمات غير الحكومية تلعب دورا نشطا متناميا فى إدارة النظام العالمى وتشمل كطبقة خاصة حشدا من الحركات السياسية عبر الحدود كذلك.

ومثال واضح هو الخضر التنظيم الخاص بالبيئة ذو الموارد المالية الضخمة، ولكنه واحد من الممثلين على المستوى العالمى ذو الأعضاء المتزايدين. فكثير منهم متورطون إلى حد كبير مسلحون بالحاسبات والفاكسات ويتمتعون بإمكانية الاتصال بشبكة الحاسبات العملاقة ومستقبلات الأقمار الصناعية وكل الوسائل الأخرى لوسائل الاتصالات المتقدمة. وعندما قام حليقو الرأس فى درسدن بمهاجمة حى مهاجرين انطلقت الأنباء خاطفة عن الحادث عبر وصلات الاتصالات COMLINK وهى شبكة إلكترونية تربط حوالى خمسين شبكة حاسبات محلية فى ألمانيا والنمسا. ومن هناك ذهبت إلى شبكة الخضر البريطانية التى تتصل بدورها بشبكات تقدمية (متحررة) من شمال وجنوب أمريكا إلى الجمهوريات السوفيتية السابقة. وانصب قصف من فاكسات الاحتجاج على الهجوم من كل أنحاء العالم فاضت بها صحف درسدن.

وتقوم الشبكات بربط كل من البيئيين المتطرفين إلى المتعصبين للتوراة، والبوذيين الفاشيين، وعصابات الإجرام، وأكاديميين معجبين بإرهابى سينديرو لومينوزو ببيرو - كلهم يشكلون جزءا من مجتمع مدنى عبر الحدود منتشر قد لا يتصرف دائما داخل المجتمع.

الاتصالات الفوقية HYPER – CONNECTION

إن عناصر النظام العالمى ترتبط مع بعضها البعض بطرق جديدة. والحكمة التقليدية اليوم تقول لنا دائما إن دول العالم تنمو بأسلوب أكثر استقلالية.

إن دول الموجة الأولى قد تعتمد بشدة على واحد أو عدد قليل من الدول الأخرى فى شراء بضائعها الزراعية وموادها الخام. إن زامبيا تبيع النحاس، وكوبا تبيع السكر، وبوليفيا القصدير. ولكن اقتصادياتها تفتقر إلى التنوع.

أحد المحاصيل الزراعية، والتركيز على واحد أو حفنة من الموارد، وقطاع صناعى زاحف، وخدمات غير متطورة - كلها تقلل من الحاجة إلى روابط مع العالم الخارجى. مثل هذه الدول ستظل منخفضة بمقياس الاعتماد المتبادل أو الوصل.

إن دول الموجة الثانية ولأن اقتصادياتها وبناءها الاجتماعى أكثر تعقدا تحتاج إلى روابط مختلفة أكثر مع العالم الخارجى. ومع ذلك حتى بين الدول الصناعية يعتبر الاعتماد المتبادل محدود. وبأواخر ١٩٣٠ على سبيل المثال كانت الولايات المتحدة شريكا فى ٣٤ اتفاقية فقط أو معاهدة مع دول أخرى. وفى عام ١٩٦٨ حتى بعد تحولها إلى اقتصاد موجة ثالثة كانت الولايات المتحدة لا زالت مرتبطة بعدد ٢٨٢ من مثل هذه العقود فقط. ولذلك تعتبر الدول ذات المداخن بوجه عام ذات اعتماد متبادل معتدل.

وعلى النقيض تجيز الموجة الثالثة قوى دول عالية التقنية تجاه ارتباطات فوقية. وكما نعلم هذه الدول داخليا تمر بعملية مؤلمة فى عملية نقض وإعادة بناء اقتصادية. إن وحدات صغرى من كل نوع تتكاثر وتشكل شكلا من التحالفات المؤقتة واتحادات، تتقاطع مع المجتمع بإدخال وإخراج منظمات معيارية.

وتتجزأ الأسواق إلى أقسام أصغر كما يتجزأ المجتمع الكبير ذاته -DE MASSIFIES هذه العملية الداخلية التى شرحت بالتفصيل فى فصل سابق كان لها بدورها تأثير على العلاقات الخارجية للمجتمع.

وهذا يفسر لماذا ، ابتداء من السبعينات ، بدأ عدد الاتفاقيات المتبادلة والمعاهدات بين الولايات المتحدة ودول أخرى يتزايد واليوم الولايات المتحدة طرف في أكثر من ألف اتفاقية وبالأحرف الأولى في عشرات الألوف من الاتفاقيات كل منها دون شك ينظر إليها أنها ذات فائدة ولكن كل منها أيضا تفرض قيودا على تصرفاتها.

ولذلك فإننا نشاهد نظاما دوليا جديدا معقدا مكونا من مناطق وشركات وديانات وتنظيمات غير حكومية وحركات سياسية - كلها متنافسة وكلها لها مصالح مختلفة وكلها تعكس درجات مختلفة من التفاعل.

وعليه إننا نخلق عالما غريبا جدا فيه معظم الدول القوية هى أيضا تلك الدول التى ترتبط بالتزامات خارجية. وفى هذا المفهوم الغريب فإن الدول الأكثر قوة هى أقلها حرية. أما الدول الصغيرة الأقل اعتمادا على العلاقات الخارجية، فقد تكون لها موارد أقل ولكنها غالبا ما تستخدمها بطريقة أكثر حرية - وعليه لماذا بعض الدول البكر (الصغيرة جدا) يمكن أن تكون حلقات حول الولايات المتحدة؟.

سرعات الساعة عالميا GLOBAL (CLOCK - SPEEDS)

علاوة على ذلك حتى أثناء قيامنا بإدخال عناصر مختلفة أكثر فى (اللوحة الأم) العالمية وربطها مع بعضها البعض بطرق مختلفة فإننا نقوم أيضا بإعادة ضبط ساعتها الداخلية، وعليه فإن النظام الدولى الجديد يعمل (كما كان) بسرعات ساعة مختلفة بحدة.

هذا التسارع الذى زادت سرعته بفضل الاتصالات يعنى أن النقط الساخنة يمكنها أن تتحقق ويمكن للحرب أن تربك النظام العالمى بين يوم وليلة. والأحداث الدرامية تتطلب رد فعل قبل أن يكون للحكومة وقت

كافٍ لهضم أهميتها. ويضطر السياسيون إلى اتخاذ قرارات أكثر وأكثر فى أمور يعرفون عنها أقل وأقل بمعدل أسرع وأسرع.

على سبيل المثال من الصعب لمعظم الأمريكيين – الذين تعتبر حياتهم اليومية من أسرع الأنواع فى العالم وآفاق الوقت بالنسبة لهم مبتورة – أن يتعاطفوا مع مشاعر القلق العربية والإسرائيلية الذين يدافعون عن مواقفهم (أوضاعهم) لادعاءات مضى عليها ٢٠٠٠ عام. فبالنسبة للأمريكى يتوارى التاريخ (يختفى) داخل نفسه بسرعة جدا، تاركا فقط اللحظة الحاضرة. مثل هذه الاختلافات فى وقت الإدراك أو الوعى تؤثر حتى فى التفكير الاستراتيجى عن الحرب، بالمثل كما رأينا تركز صورة حرب الموجة الثالثة ذاتها ليس فقط على تفوق العوامل المؤقتة على العوامل المكانية ولكنها تعتمد بثقل على سرعة الاتصالات وسرعة الحركة وبتعبير آخر إننا نبنى ليس فقط نظاما عالميا ثلاثى المستوى ولكن نظاما يعمل فى ثلاث شرائح مختلفة من السرعة.

احتياجات البقاء SURVIVAL NEEDS

هذه الأقسام الثلاثية (المتساوية) تغير أيضا الأشياء التى تحيا الدول أو تموت من أجلها فى المستقبل. فكل الدول تبحث عن حماية مواطنيها. إنها تحتاج طاقة وطعام وممر فى البحر والجو للنقل. ولكن فيما وراء ذلك وعدد قليل من العناصر تتباين احتياجاتها.

بالنسبة لاقتصاديات الموجة الأولى الأرض ، الطاقة ، والوصول إلى المياه للرى، وزيت الطعام، والطعام فى أوقات يائسة، وحد أدنى من مستوى القراءة والكتابة، وأسواق لبيع المحاصيل أو المواد الخام – كل ذلك بوجه عام هو أساسيات الحياة. مفتقرة إلى الصناعة ومعرفة تصديرية مؤسسة على

الخدمات ترى فى مواردها الطبيعية - من أمطار إلى غابات إلى إمدادات بالمياه إلى مناطق صيد أسماك - هى الممتلكات الرئيسية الصالحة للبيع.

ودول الموجة الثانية التى لا زالت تعتمد على عمالة يدوية رخيصة وإنتاج كثيف هى أمم اقتصاديات قومية مكثفة مدمجة. ولكونها أكثر حضرا فإنها تحتاج بشدة لواردات الغذاء إما من المناطق الريفية الخاصة بها أو من الخارج، إنها تحتاج مدخلات عالية من الطاقة لكل وحدة إنتاج إنها تحتاج إلى مواد خام بكميات ضخمة لتحافظ على مصانعها التى تعمل - حديد وصلب وأسمنتا وأخشابا وبتروكيماويات وغير ذلك. إنها بيت عدد صغير من المؤسسات العالمية. إنهم المنتجون الرئيسيون للتلوث وغير ذلك من سلبيات البيئة. وفوق كل شىء إنها تحتاج إلى أسواق للتصدير لبضائعهم التى تنتج بكثافة.

تشكل (الأمم الأعمدة) للموجة الثالثة الرابط الجديد للنظام العالمى. وبخلاف الدول الزراعية لا تحتاج بشدة إلى أراض جديدة وبخلاف دول الموجة الثانية لا تحتاج إلى موارد طبيعية ضخمة خاصة بها (بافتقارهم لهذه استولت يابان الموجة الثانية على كوريا ومنشوريا وغير ذلك من المناطق الغنية بالموارد. وعلى العكس من ذلك يابان الموجة الثالثة أصبحت أكثر غنى بصورة ضخمة بدون أى مستعمرات أو مواد خام خاصة بها).

من الطبيعى أن الأمم الأعمدة للموجة الثالثة لا زالت تحتاج للطاقة والطعام ولكن ما تحتاجه أيضا الآن هى معرفة تحول الثروة. إنها تحتاج إلى السيطرة على بنوك بيانات العالم وشبكات اتصالات بعيدة. إنها تحتاج إلى أسواق لمنتجاتها الذكية الكثيفة وخدماتها، إلى خدمات تمويلية إلى استشارة إدارية.. برامج تليفزيونية.. بنوك.. نظم امتياز RESERVATION SYSTEMS..معلومات ائتمانية.. نظم تكامل معلومات.. مخابرات

اقتصادية.. كل تكنولوجيات المعلومات والاتصالات التى تعتمد عليها كل هذه الأشياء. إنها تحتاج للحماية ضد قرصنة المنتجات العقلانية. وبالنسبة للبيئة إنها تريدها بيئة غير فاسدة.

بالنسبة لدول الموجة الأولى تحتاج لحماية غاباتها وسماواتها وخضرتها لصالح العالم – أحيانا حتى إذا أساءت إلى تقدمها الاقتصادى.

إذا ما جمعنا كل هذه الاختلافات معا – اختلافات فى نوعيات الوحدات التى يتكون منها النظام، وفى الرابطة بينها، وفى سرعتها. وفى مطالب البقاء لها – فإننا نصل إلى نظام عالمى للقرن الواحد والعشرين، مسرح ستدور فيه حروب وضد حروب الغد.

نهاية التوازن (وليس التاريخ)

THE END OF EQUILIBRIUM NOT HISTORY

تميل نظرات الموجة الثانية عن النظام العالمى إلى افتراض أنها متوازنة وأن بها عناصر تصحيح ذاتية وأن عدم الاستقرار هو استثناء من القاعدة. فالحرب والثورات والانتفاضات هى لسوء الحظ اضطرابات فى نظام مرتب بطريقة أخرى. والسلام هو الحالة الطبيعية.

إن النظرية عن (توازن القوى) تفسر مقدما أنه إذا أصبحت دولة ما قوية جدا فإن دولا أخرى تشكل تحالفا لمواجهتها، وهكذا تعيدها إلى مدارها السليم وتعيد التوازن مرة أخرى. ولا زالت افتراضات لها علاقة بذلك منتشرة فى الغرب الغنى. وتشمل فكرة ليبرالية أن لا أحد يريد الحرب.. وأنه فى أعماقنا الخصوم وهم صور المرآة لأنفسنا.. وأن الحكومات كارهة (بصورة متأصلة) للمخاطرة.. وأن كل الخلافات يمكن التفاوض بشأنها

سلميا إذا قبل الخصوم أن يستمروا فى التحدث مع بعضهم البعض، وفى النهاية يكون النظام الدولى عقلانيا.

ومع ذلك لا تنطبق أى من هذه الاستنتاجات على أيامنا الآن. ففى أوقات كانت حكومات (واقعيا) تريد الحرب حتى فى غياب تهديد خارجى (الجنرالات الأرجنتينيون الذين بدأوا حرب فوكلاند / حرب مالفيناس MALVINAS عام ١٩٨٢ نشبت لأسباب سياسية داخلية بحتة فى غياب أى تهديد خارجى من أى نوع). كثير من القادة يكرهون المخاطرة ولكنهم يزدهرون على المخاطرة الكبيرة! بالنسبة لهم لا شىء ينجح مثل الأزمات.

إن ما يفشل كثير من العلماء فى تقدير قيمته هو عندما تكون النظم (بعيدة عن التوازن) فيتصرفون بطرق غريبة (شاذة) ينتهكون بها القواعد العادية، ويصبحون مغاليين (NONLINEAR) - وهو ما يعنى أن المدخلات الصغيرة قد تحدث آثارا ضخمة. فعدد صغير من الأصوات السلبية فى الدانمارك الصغيرة كانت كافية لتأخير أو الخروج عن الخط لكل عملية الاندماج الأوروبية.

إن حربا صغيرة فى منطقة متأخمة يمكنها - من خلال سلسلة من الأحداث غير المتوقعة - أن تحول كرة ثلجية إلى حريق هائل عملاق. وبالمثل يمكن لحرب كبيرة أن تنتهى إلى تغيير قليل الملاحظة فى التوزيع العام للقوة. لقد سببت الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨ خسائر تزيد على ٦٠٠٠٠٠ نسمة ومع ذلك انتهت إلى التوقف STAND OFF فهناك مقارنة متناقصة بين الحجم والمدخلات وبين الحجم والمخرجات.

إن النظام العالمى يتخذ خصائص بريجوجينيان (PRIGOGINIAN) - هو أنه يبدو أكثر وأكثر مثل النظم الفيزيائية (العضلية) والكيماوية

والاجتماعية التى وصفها إيليا بريجوجين العالم الذى حصل على جائزة نوبل والذى اكتشف لأول مرة ما أسماه (التكوينات التفريقية DISSIPITIVE – STRUCTURES) وفيها كل أجزاء النظام فى تموج مستمر. وأجزاء كل نظام تصبح معرضة إلى حد كبير جدا للمؤثرات الخارجية – التغيير فى أسعار البترول، والتموج المفاجئ فى التطرف الدينى، والتغير فى التوازن فى التسليح.. الخ.

وفى النهاية فى هذه اللحظة الحاسمة يكون النظام أى شىء ولكنه مرشد. وفى الواقع هو أكثر قبولا للفرصة عن ذى قبل، بمعنى أن تصرفاته يستحيل التنبؤ بها.

إذن مرحبا بالنظام العالمى للقرن الواحد والعشرين – وليس النظام العالمى الذى نادى به الرئيس بوش أو الذى وعد به سياسيون آخرون بعد استقرار ما بعد الحرب الباردة. ففيه يمكننا رؤية عملية قوية ثلاثية الأطراف تعمل وتعكس ظهور (فى حياتنا) مدنية جديدة بكل احتياجاتها المميزة للبقاء، وشكل حرب خاصة بها، وقريبا كما يرجوه الإنسان شكل جديد للسلام.

إننا نعيش لحظة مدهشة فى تاريخ البشرية. فخلف كل الكآبة التقليدية اليوم تختفى إيجابيات ضخمة وتغيرات إنسانية فوق الأرض. إن سرعة اقتصاد الموجة الثالثة يشحذ كل منطقة الباسيفيك الأسيوية ويخلق تجارة وتوترات اقتصادية، ولكنه فى الوقت نفسه يخلق احتمال إخراج ملايين البشر من جب الفقر. إن الزيادة الكثيفة فى تعداد سكان الأرض ظهرت فيما بين عام ١٩٦٨ وعام ١٩٩٠ ولكن رغم التنبؤات الكئيبة فإن نصيب الفرد من الأغذية فى العالم زاد بسرعة أكبر طبقا لبيانات منظمة الأغذية الدولية، وانخفض العدد الحاد للناس الذين يموتون جوعا بمقدار ١٦٪.

باستخدام تكنولوجيات الموجة الثالثة التى تعتبر أقل كثافة فى الطاقة وأقل إحداثا للتلوث يمكننا أن نبدأ فى تنظيم الخراب البيئى الذى أحدثته الطرق الصناعية للموجة الثانية وتدمير العقل لمعظم أولئك المحظوظين الذين لا زال لديهم عمل، ويمكن تحويل ذلك إلى شىء ناجح ومحفز للعقل. إن الثورة الرقمية التى تساعد فى تغذية الموجة الثالثة تكمن فى داخلها قدرات على تعليم المليارات.

ورغم التحذير فى كل الصفحات عن خطر الحرب والانتفاضات الأهلية بل والهجمات النووية فإن الأخبار السعيدة هى أنه رغم إنتاج ٥٠٠٠٠ - ٦٠٠٠٠ رأس مقاتلات نووية منذ هيروشيما وناجازاكى، ورغم حدوث انفجارات تحت الأرض وحوادث نووية لم يحدث أن تم تفجير أى من هذه الرءوس فى لحظة-غضب. إن غريزة الإنسان فى حب البقاء منعت تكرار قيام أصبع ما بالضغط على الزر.

ولكن البقاء فى فجر القرن الواحد والعشرين يتطلب أكثر من الغريزة، فبالنسبة لنا جميعا - عسكريين ومدنيين على حد سواء - يتطلب الأمر تفهما حقيقيا للثورة التى تربط الآن بين المعرفة والثروة والحرب. وهذه الصفحات قد تكون قد قدمت إسهاما فى هذا المجال إذا كانت قد نجحت فى إلقاء الضوء على هذه العلاقة. ولتحقيق ذلك حاولنا رسم صورة لنظرية جديدة للحرب ولضد الحرب (السلام). وسنكون شاكرين إذا كنا قد قدمنا نظرة داخلية للوعى أو ساعدنا فى تفجير فكرة قديمة قد تقف فى طريق عالم أكثر سلاما.

إننا نعتقد أن وعد القرن الواحد والعشرين سيتبخر بسرعة إذا داومنا على استخدام أسلحة الأمس. إنها ستختفى بصورة أسرع إذا نسينا ولو للحظة تلك الكلمات المتزنة لليون تروتسكى التى ذكرناها فى بداية هذا الكتاب: (أنت ربما لا ترغب فى الحرب ولكن الحرب ترغب فيك).

عرفان بالجميل

أكثر من أى كتب أخرى لم يكن يقدر لهذا الكتاب أن يكتب بدون معونة كثير من الناس.

وكغريب عن المجال العسكرى والثقافة العسكرية اسعدتنا المفاجأة رغبة كثير من الضباط والمسئولين فى الدفاع والأكاديميين وغيرهم فى التحدث إلينا عما كنا نعتبره أكثر الأمور تأثيرا بشكل حاد فى طبيعة الحرب والسلام منذ الثورة الفرنسية، ففى كل مكان واجهتنا تساؤلات عميقة حقيقية عماذا يمكن أن يفعله الناس لتقليل العنف إلى أدنى حد فى الحقب المقبلة؟.

وبينما قد يكون من المستحيل ذكر كل أولئك الذين قابلناهم أو ناقشنا معهم هذه الأمور خلال مسيرة كتابة هذا الكتاب فإن العديد منهم قدم مساعدات غير عادية، ويشمل هؤلاء كثير من كبار الرسميين والضباط، ولكننا نأمل أن يغفروا لنا حرية عدم ذكر ألقابهم ورتبهم المختلفة لأن مناصبهم ورتبهم كانت تتغير أسرع من قدرتنا على متابعتها.

من بين هؤلاء ممن اقتطعوا من أوقاتهم الكثير لمعاونتنا أو ليشاركونا أفكارهم كان جريس أرون، دوان اندروز، جون أركيلا، جون بويد، كارل بيلدر، ديك تشينى، ويليام فورستر، لويس فرانكلين، بيير جالواس، نيوت جينجريتش، دان جولدين، دانيل جور، جيرومى جرانرود، ستيف هانسر، جيرى هاريسون، ريان هنرى، زالمى خاليليزاد، توم كنج، آندى مارشال، آندى ميسنج، جانيت وكريس موريس، جيم بينكرتون، جوناثان بولوك، جوناثان ريجان، دافيد رونفلدت، تيم رين، لارى سكويست،

ستيوارت سليد، ودون ستارى، روبرت ستيل، بيل ستوفت، بول ستراسمان، دين ويلكنج، هنرى يودين... كما ورد بالكتاب باتى موريللى أرملة دون موريللى التى كانت كريمة إلى حد كبير أيضا.

وبالنسبة للمنزل نشكر ابنتنا كارين توفلر التى فى ظروف صعبة تحملت مسئولية مراجعة أبحاثنا وإعداد السيرة الذاتية والفهرست، لقد عملت دون ملل لمواجهة التوقيتات المحددة التى تمر بسرعة. وخلال الشهور الأولى ساعدت ديبورا براون فى المراجعة إلى أن كانت مضطرة للعمل فى كتابها فى موضوع معين، وفى آخر لحظة قام روبرت باسيل بمتابعة بعض الموضوعات فى المكتبة وساعد فاليرى فاسكويز فى إعداد البروفة (الكتاب). ومن الطبيعى فالمسئولية عن أية أخطاء خفية قد تكون تسللت إلى الكتاب تظل مسئولية المؤلفين.

وطوال العمل عملت جوان جوميز على التأكد من أن كل جزء من الأوراق موجود حيث يجب أن يكون، وأن سياراتنا وطائراتنا موجودة عندما احتجنا إليها، وأن المكالمات تمت حسب ما هو مخطط، والرد على التليفونات والفاكسات من كل مكان فى العالم بأسلوب ذكى وكريم وبلباقة، لقد ساعدت بآلاف الطرق غير الملحوظة ولكن لها نفس الأهمية.

وقد تعرضت النسخة الأصلية لتحسين كبير بواسطة جيم سيلبرمان صديقنا الكبير وهو الآن ناشرنا فى ليتل براون، وتلقينا مساعدات لا نهاية لها من الوكيل بيرى نولتون ومن الأفراد فى فريقه فى كيرتس براون ليمتيد وخاصة جريس ويرى وديف باريور وتيم نولتون.

تعليق

بعد أن قرأت - صديقى القارئ - هذا الكتاب الهام الذى يطل على المستقبل القريب والمتوسط والبعيد يجدر بنا أن نتساءل ماذا يجب أن نفعل؟ هل سنبقى على ما نحن عليه والعالم ينتقل إلى عصر الموجة الثالثة؟ أم سنبادر بالعمل الجاد المكثف لمواكبة هذه الطفرة التى يمكن أن نصفها بأنها ثورة بدأت فى الحقبة الأخيرة من القرن العشرين الذى نكاد نودعه لنستقبل قرنا جديدا (القرن الواحد والعشرين). والذى سينطلق فيه العلم والمعرفة إلى آفاق غير مسبوقة. تحدث الكتاب عن التغيير الذى حدث للعقيدة العسكرية وعن ثورة المعرفة فى المجال العسكرى بصورها المختلفة. وأشار إلى أن عنصر المعرفة تزايدت أهميته فى الحرب وفى الحياة المدنية على حد سواء، وأن الأمر يحتاج إلى جندى من نوعية خاصة تسليحه الأساسى هو المعرفة. وإذا كان اقتصاد الموجة الثالثة يتطلب عمالة على درجة عالية من المعرفة والذكاء، فإن الأسلحة والذخائر الذكية الجديدة تتطلب أيضا جنديا على درجة عالية من المعرفة والذكاء، إن العسكرية الجديدة تحتاج جنودا يستخدمون عقولهم ويمكنهم التعامل مع أنواع مختلفة جدا من الناس والثقافات. فطيار اليوم ليس ممثلا وحيدا فى كابينة القيادة وإنما هو جزء من نظام ضخم معقد ومتداخل يدعمه عمال رادارات على متن طائرات الإنذار المبكر وخبراء فى الحرب الإلكترونية ومحللين للبيانات.. إلخ، وعليه أن يقوم بمعالجة كمية كبيرة جدا من البيانات وأن يتقين كيف يتوافق مع هذا النظام الكبير الذى يتغير من لحظة إلى أخرى. وما ينطبق على الطيار ينطبق على كل ضابط وجندى فى الأفرع المختلفة. الجندى ليس مجرد دابة يحمل ذخيرة وإنما عليه أن يفهم تكتيكات الجندى الميكانيكى والمترجل والإبرار الجوى وأن يكون ماهرا فى الهندسة

والملاحة والحسابات واستخدام وسائل التدمير والحاسبات الإلكترونية وملما بالألغام وأجهزة الاتصالات المتطورة.. الخ. أى يجب أن يكون على درجة عالية من المعرفة والذكاء حتى يمكنه التعامل مع هذا العدد الكبير من المعدات الذكية المتطورة الكثيرة.

إن الفرق كبير بين حرب الموجة الثالثة وحروب الموجة الثانية، فالاتجاه العام فى حرب الموجة الثالثة هو نحو نظم تسليح ذكية لها قوة تأثير أكبر تعمل بعدد أقل من الأفراد، فمن المعروف أن حجم الفرقة للموجة الثانية كان يصل إلى ١٨٠٠٠ جندى وكانت تعتبر التشكيل الرئيسى القادر على تنفيذ مهام مستقلة لفترة طويلة، ولكن الموجة الثالثة ستقدم لواءًا قوامه حتى ٥٠٠٠ رجل يمكنه أن ينفذ وبكفاءة وتأثير أكبر وفى زمن أقل من فرقة الموجة الثانية، بل إن العمل يسير نحو خلق وحدة فرعية أصغر من اللواء يمكنها القيام بهذه المهام بكفاءة.

إن ثورة الاتصالات والمعلومات لها تأثير كبير على إدارة المعارك، ويكفى أن نضرب مثلا لذلك ما حدث فى حرب الخليج التى - كما قال المؤلفان - جمعت بين حرب الموجة الثانية وحرب الموجة الثالثة، إن قيادة قوات التحالف كان عليها السيطرة على حملة جوية اشتركت فيها حوالى ٣٠٠٠ طائرة تعمل من خلال ١٢٢مسار إمداد جوى بالوقود، ٦٦٠منطقة عمليات جوية، ٣١٢ منطقة اشتباك صواريخ، ٧٨ممر ضربات جوية، ٩٢ منطقة دوريات حماية، ٣٦منطقة تدريب فى مساحة تزيد على٩٠٠٠ميل، وكان عليها أن تنسق كل ذلك بعناية دون حدوث أى تداخل أو حوادث. ولم يكن ذلك ممكنا دون ثورة وسائل الاتصالات والسيطرة والمعلومات للموجة الثالثة. إن ما جعل ذلك ممكنا الحجم الهائل من الحاسبات الإلكترونية والأقمار الصناعية وطائرات الإنذار المبكر، والقيادة والسيطرة الآلية وكلها تم دمجها فى نظام واحد دقيق لا يقبل فيه أى خطأ.

كل ذلك وغيره مما جاء به هذا الكتاب القيم يوضح لنا أن أسلوب تعليم وتدريب رجال القوات المسلحة فى كل الدول العربية يجب أن يتطور وبسرعة. فنحن فى حاجة إلى ضابط على مستوى مرتفع من المعرفة والكفاءة. وكنا فى مصر قد بدأنا فى تطوير التعليم فى الكلية الحربية ليكون أساسا تعليما هندسيا وعسكريا تم تنسيقه بدقة وبدأ فعلا هذا النظام إلا أنه بعد ذلك تم إلغاؤه والعودة إلى النظام السابق دون ما سبب وجيه اللهم إلا عدم إدراك أننا مقبلون على عصر الموجة الثالثة وأصبح عصر الموجة الثالثة يتطلب أن يكون الضابط على دراية بالعلوم الهندسية والفنية بدرجة كبيرة وهو ما نشاهده فى برامج كلية ويست بوينت الأمريكية وغيرها من الكليات العسكرية فى الدول المتقدمة.

لقد أطلقت إسرائيل قمرا عسكريا إلى الفضاء يعتبر خطوة نحو الموجة الثالثة، ولازلنا حتى الآن نفكر ونعلن دون ما عمل حقيقى أننا نريد أن نطلق قمرا صناعيا، والأهم من كل ذلك أن القمر الصناعى قامت بتصنيعه الصناعات العسكرية الإسرائيلية وأطلقه صاروخ إسرائيلى، ولدينا الكوادر ولدينا العلماء ولكننا مترددون.. لماذا؟ سؤال لا أجد له إجابة! (قامت مصر بإطلاق نايل سات ١٠١ ، ١٠٢

إننى أنادى الدول العربية بأن تبدأ فورًا بالدخول إلى عصر الموجة الثالثة فى إدارة الاقتصاد وفى الصناعة المدنية وكل المجالات المدنية، وكذلك فى المجالات العسكرية حتى لا نواجه بتهديد من دولة تمتلك قدرات الموجة الثالثة ونحن لازلنا نتعثر حتى فى عصر الموجة الثانية، وحينذاك ستكون مأساة لا يتصورها عقل ستكون نكسة تفوق كل النكسات التى تعرضت لها الأمة العربية على مر التاريخ